Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحب بديع الزمان

وكان فيما يقابلُني من ناديهم فتىً قد رماني بطَرْفه ، واتّكأ لي على كفّه ، فقال : تَحَيُّلٌ على الكلام لطيفٌ ، وأبيك ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أوَ ما علمتَ أنَّ الواصفَ إذا وصَفَ شيئاً لم يُتقدَّم إلى صفته ، ولا سلّط الكلامُ على نَعْته ، اكتفى بقليل الإحسان ، واجتزى[1] بيسير البيان ؟ لأنه لم يتقدَّمْ وصفٌ يُقْرَنُ بوصفه ، ولا جَرى مَساقٌ يُضافُ إلى مساقه . وهذه نُكتةٌ بغْداذيّة ، أنّى لكَ بها يا فتى المغرب ؟

فقلتُ لزُهير : مَنْ هذا ؟ قال : زُبْدةُ الحقَب ، صاحب بديع الزمان . فقلتُ : يا زُبْدةَ الحقَب ، اقترح لي . قال : صِفْ جاريةً . فوصَفتها . قال : أحسنتَ ما شئتَ أن تُحسن ! قلتُ : أسمِعْني وصفَك للماء[2] . قال ذلك من العُقْم[3] . قلت : بحياتي هاته . قال : أزرقٌ كعين السّنّور، صافٍ كقضيب البلّور ؛ انتُخِبَ[4] من الفُرات[5] واستُعمِل بعد البيات[6] ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة .

فقلتُ : انظُرْه ، يا سيّدي ، كأنّه عصيرُ صباح ، أو ذَوبُ قمرٍ لَيّاح[7] ؛ يَنصَبُّ من إنائه ، انصبابَ الكوكب من سمائه ؛ العينُ[8] حانُوتُه ، والفمُ عفْريتُه ، كأنّه خيطٌ من غَزْلٍ فُلِق ، أو مِخْصَرٌ[9] يُضرَبُ به من وَرِق[10] ؛ يُرفَعُ عنكَ فتردى[11] ، ويُصْدَعُ[12] به قلبُكَ فتَحْيا .

فلمّا انتهَيتُ في الصِّفة ، ضَرَبَ زُبدةُ الحقَبِ الأرضَ برجْله ، فانفرجتْ له عن مثل بَرَهُوت[13] ، وتدَهْدى[14] إليها، واجتمعتْ عليه ، وغابت عينُه ، وانقطع أثرُه . فاستضحك الأستاذان من فعله ، واشتدَّ غيظُ أنف النّاقة عليَّ .

---

(١) اجتزى : اكتفى ، لغة في اجتزأ .
(٢) وصف الماء لبديع الزمان في المقامة المضيرية .
(٣) من العقم : أي لا يولد شبيه له .
(٤) انتخب : في المقامة المضيرية : استقي .
(٥) الفرات : الماء العذب ، أو لعله أراد به دجلة ، لأن قصة المضيرة وقعت في بغداد ، يقال الفراتان ، أي الفرات ودجلة .
(٦) البيات : أي أن يبيت الماء في إناء تحت السماء ليبرد ، ويصفى .
(٧) لياح : أبيض ناصع .
(٨) العين : أي عين الماء .
(٩) المخصر : رواية يتيمة الدهر : المخصرة ، وهي قضيب كان الأمير يأخذه بيده ، يشير به ويصل به كلامه .
(١٠) الورق : الفضة .
(١١) تردى : أي تهلك عطشاً .
(١٢) يصدع : يشق .
(١٣) برهوت : واد أو بئر بحضرموت .
(١٤) تدهدى : تدحرج .